عليهِ عَرَضٌ بل هو ثابتٌ في العقل الوالد لهُ بلا انفصالٍ والكتاب واحدٌ . كذلك نقول انَّ السيد المسيح من حيثُ هو كلمةُ الله قديمٌ ازليٌّ ومن حيثُ هو ابن السيدة مريم هو محدثٌ زمنيٌّ ففعل المعجز بالطبيعة الالهيَّة واظهر العجز بالطبيعة البشريَّة . والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما انَّ قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشجَّ والطيَّ والقطع من غير وصبٍ يدخلُ على طبيعة النار . والقطعة واحدةٌ جامعةٌ لطبيعتين طبيعةٍ لطيفة غير داخل عليها عرضٌ وطبيعةٍ كثيفة قابلةٍ للاعراض . واما قولنا « انَّ السيد المسيح الهٌ » فلأنَّ اللطيف اذا اتحد بالكثيف غلب اسم اللطيف على الكثيف كما يغلب اسم النار على الحطب فلا يقال نارٌ وحطبٌ بل نارٌ . واذا كان هذا المجرى يجري في اتحاد المخلوقات ففي الخالق هو أجلّ واعظم . واما الولادة فقد تكون على وجهين منها ولادةٌ كثيفةٌ بمباضعةٍ وتناسل وتقدُّم الاب على الابن وتأخُّر الابن عن الاب مثل زيدٍ من ابيهِ . ومنها ولادةٌ لطيفةٌ بغير مباضعةٍ ولا تناسلٍ ولا تقدُّم ولا تأخُّر مثل ولادة العقل للنُّطق وولادة قرص الشمس للضوء والى هذا المعنى نحو في قولنا « ابًا وابنًا » . والحمدُ لله على ما انعم علينا بهِ من المعرفة بتوحيد جوهرهِ وتثليث اقانيمهِ التي هي الآب والابن والروح القدس لهُ المجد والقدرة والتسبحة والكرامة من الآن والى دهر الداهرين . آمين

يا جوهرًا من جوهرٍ في جوهرٍ لا ينقسمْ (١
مَن قال غيرَ مقالتي في ذي العلى لم يستقمْ

اللغة الشائعة في سوريَّة

قبل الهجرة

مقالة للطبيب الذكر اقليميس داود مطران دمشق على السريان الكاثوليك *

يزعم قومٌ ان اللغة اليونانية كانت لغة سوريَّة على وجه الاطلاق في الازمان السابقة

١) الجوهر هنا بمعنى الذات الشخصيَّة والاقنوم لا بمعنى الطبيعة التي هي واحدة في الله سبحانهُ وتعالى لا تقبل التجزئة .

* وردت هذه المقالة في الجزء الاوَّل من الطبعة الجديدة من كتابهِ المدعوّ « اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانية » (راجع الصفحة ٨٥٨)

لظهور العربية فيها. كأنّ اللغة اليونانية تملّكت في بلاد الشام منذ استولت دولة السلوقيين خلفاء الاسكندر ذي القرنين اليوناني على هذه البلاد في اواخر القرن الرابع (ق م) وبقيت متغلبة فيها الى ان انقرضت بتسلّط اللغة العربية على البلاد. واصحاب هذا الزعم يوردون لاثبات زعمهم حججاً كثيرة. منها انّ كلّ المؤلفين الذين ألّفوا الكتب في تلك البلاد قبل العرب ألّفوا باليونانية. وانّ المجامع المسيحية عُقِدَت فيها باليونانية. وانّ الكتابات الحجريّة الباقية الى اليوم هي باليونانية الى غير ذلك. ونحن نقول انّ كلّ ذلك لا ينتج منهُ ألّا ان اللغة اليونانية كانت شائعة مشهورة في البلاد الشامية لا أنّها كانت لغة البلاد كلها ولا انّها كانت اللغة المتغلبة. لانّ اللغة المتغلبة في بلاد الشام حتى بعد استيلاء السلوقيين عليها كانت السريانية. ولنا على ذلك براهين شتّى قاطعة

فأوّلاً نتّخذ البرهان من الامر المعلوم لدى كلّ خبير وهو انّ العرب لمّا ملكوا بلاد سوريّة واختلطوا مع اهلها ادخلوا في لغتهم العربيـة ألفاظاً كثيرة غريبة من لغة اهل سوريّة متعلّقة بالديانة النصرانية وبغير ذلك وعرّبوها. والحال انّ هذه الالفاظ الشامية التي ادخلها العرب في لغتهم ليست يونانية لكن هي سريانية. وهاك جملةً منها: عمّاذ. قسّيس. شمّاس. ناقوس. كنيسة. نياحة. ساعور. باعوث. ترشيم. تسبيح. قدّاس. وغيرها كثير

واما من اللغة اليونانية فلم يدخل في اللغة العربية ألّا الفاظ قليلة وذلك بواسطة اللغة السريانية نفسها. وهي الالفاظ الموجودة في اكثر لغات العالم. منهـا ما يتعلّق بالأمتعة الجديدة وما اشبه نحو: زنّار. قسط. اوقيّة. ايقونة. استار. درهم. مينا. فندق. ومنهـا ما يتعلّق بالديانة النصرانية نحو: انجيل. هرطقة. اسقف. مطران. طقس. طغمة. ومنها ما يتعلّق بالعلوم. وهذه لم تُعرَّب ألّا حينما أخذَ العرب في خلافة العبّاسيّين يتفرّغون للعلوم اليونانية على يد علماء السريان. فدخلت في لغتهم الالفاظ الاصطلاحية العلمية التي دخلت في كلّ اللغات المتمدنة نحو: فلسفة. جغرافيا. سفسطي. دوسنطريا. باسيليق. اقليم. أثير. وكلّ هذه الالفاظ اليونانية انّما دخلت في العربية لكونها موجودة في السريانية لانك لا تجـد لفظة يونانية في العربية ألّا وهي موجودة في السريانية. ودخلت في العربية لا كأنها يونانية لكن كأنّها سريانيّة. لانها لم تدخل في العربية من اليونانية رأساً لكن بواسطة اللغة السريانية كما تقدّم القول. فيجوز لنا ان نعدّها مع الالفاظ التي دخلت من اللغة السريانية الى العربية التي سبق ذكرها

وتاهيك انَّ العرب يلفظون الكلمات اليونانية المعرّبة كما يلفظها السريان لا كما يلفظها اليونانيون . فيقولون مثلًا : افلاطون . سقراطيس . اقليم . فندق . طقس . دوسنطريا . لا : بلاتون . سكراتيس . كليما . بندوخيون . تكسيس . ديسنتريا . كما يقول اليونانيون . ومما يستحق الاعتبار انَّ العرب سمّوا اليونان بالاسم السرياني « مَهنَا » كما سمّوهُ في سورية لا بالاسم اليوناني « هِلينيكُس »

والأمر في الالفاظ اليونانية المعرّبة يشمل ايضًا الالفاظ اللاتينية نحو : دينار . بلاط . قلاية . طبلة . فسقيَّة . والحاصل أنهُ لمّا كان العرب لم يستعيروا الالفاظ الاعجميّة الّا من لغة الاقوام الذين اختلطوا بهم ولم تحدث استعارة الالفاظ التي كلامنا عنها الّا في الازمان التابعة لظهور النصرانية كما هو واضح يتّضح من ذلك بكل التأكيد انَّ الاقوام الذين اختلط بهم العرب في سورية في الازمان التابعة لظهور النصرانية كانت لغتهم الشائعة المتغلّبة هي اللغة السريانية

ثم انَّ من المقرَّر الذي لا ينكرهُ احد انَّ اللغة التي كان اهل الشام يتكلّمون بها قبل ان انقرضت باللغة العربيّة لا بُدَّ من انَّها تركتْ آثارًا في اللغة العاميَّة التي اخذت مكانها . والحال انَّ اللغة العامية في بلاد الشام ليس فيها ادنى اثر من اللغة اليونانية . لكن تحتوي آثارًا كثيرة من اللغة السريانية . من ذلك اسكان المتحرّك في اوّل الكلمة وفي مواضع اخرى كقولهم مثلًا : كْبير . صْغير . تْروح . كْبار . بسكون اوائلها . وهذه خاصّة لا توجد الّا في اللغة السريانية . ولغة عامّة دمشق على الخصوص مشهورة باستعمالها اسكانًا خصوصيًّا للسان السرياني لا يعرفهُ اهل بقيّة البلاد التي تتكلّم بالعربية . وهو انَّهم يسكّنون الحرف المتحرّك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة . وقد ينقلون حركتهُ الى الحرف السابق . فالاوّل نحو : عِلْتي . عَمْتَك . كَسْرُهْ . والثاني نحو : نِحْمِلْهُ . زِلْقِطْهُ . حُرْمِتَكْ . بدل : عِلَتي . عَمَتْك . كَسَرُهْ . نَحْمِلْهُ . زِلَقِطْهُ . حُرْمَتِكْ . المستعملة في بقيّة البلاد المتكلّمة بالعربية

ومما يؤكد هذا البرهان أنَّ عربية المصريين مثلًا ليس فيها هذه الخاصّة اعني اسكان المتحرّك ونقل حركتهِ الى ما قبلهُ . وذلك لانَّ المصريين لم يكونوا قبلًا يتكلّمون بالسريانية

ومن الآثار السريانية الباقية الى يومنا هذا في لسان العامّة بسوريّة قلب الميم الى نون في ضمير المخاطبين وضمير الغائبين نحو : « ابوكُنْ وبيتهُنْ » بدل « ابوكم وبيتهم ». وهذه الخاصّة هي من خواصّ اللغة السريانية . ومن الغريب انَّها لا توجد في عربية

العامة الّا في بلاد الشام وفي النواحي الشمالية من بلاد الجزيرة

وما هو اعظم من ذلك انّهُ يوجد في اللغة العامّية ببلاد الشام حتى دمشق ألفاظٌ سريانية كثيرة برمّتها لا حظّ لها من العربية. يستعملها الشاميّون في كلامهم الدارج حتى المتكيّون الذين ينسبون انفسهم الى اليونانيين وهم لا يعرفون انّ تلك الالفاظ هي سريانية. فمن الافعال التي تخطر بالبال: دقر. سكّر (الباب). طافَ بمعنى طفا. دبّق. فقع. دلف. شلح. شمط. شطح. فلش. شقل. ومن الاسماء: الشوب. الشرش. الاشكارة. الدقن بمعنى اللحية. الهبلة. الخل. القاتول. القرطب. الناقول. هذه وامثالها هي بقايا من اللغة السريانية التي كانت يوماً لغة العامّة في دمشق وسائر سورية قبل دخول العربية فيها. بل انّ اسم سورية نفسهُ هو متّخذ من السريان لا من اليونانيين لانّهُ من المعلوم انّ اليونانيين منذ الاعصار المتأخرة يقولون «سيريا». واماً السريان فيقولون «صوّرَا» سوريا

ثمّ انّ العرب لمّا ترجموا الكتاب المقدّس في الزمان القديم الى لغتهم لم يصوّروا الاسماء الاعلام التي فيهِ بحسب لفظ اليونانيين لكن بحسب لفظ السريان. فقالوا مثلاً: يعقوب. اسحق. يسوع. حوّاء. يوحنّا. عُمُورة. كما يقول السريان. ولم يقولوا: يا كوب. إسّاك. ايسوس. آفا. يوانيس. غُمُرّا. كما يقول اليونانيون. ولنا هنا ان نبرهن ونقول: ان كانت ترجمة الكتاب المقدّس العربية قد صارت على كتب اليونانيين كما يزعم قومٌ فها انّ اللغة السريانية كانت لشيوعها قد علّمت العرب لفظ الأسماء الأعلام. وان كانت قد جرت على الكتب السريانية كما هو الارجح فها اذاً انّ اللغة السريانية كانت شائعة في سورية حتى في استعمال الكتاب المقدّس

ثمّ انّ اللغة السريانية قد ابقتْ آثاراً كثيرة جليلة الى اليوم في بلاد سورية ما عدا ما ذكرناهُ. منها:

اوّلاً أسماء القرى والمدن التي لا تُحصى ولا تُعَدّ نحو: ريشمينا. عينطورا. ريشيّا. راشيّا. يكفيّا. داريّا. مَعَرّا. بيتيا. وهذه الاماكن هي كلّها من ضواحي دمشق نفسها او قريبة اليها. واماً الاسماء العلميّة اليونانية فهي قليلة جدّاً وهي مقصورة على بعض مدن الساحل او القريبة منهُ اشهرها: انطاكية. اسكندرونة. لاذقية. طرابلس. نابلس. ومما يستحقّ الذكر انّهُ لا يوجد اسم يونانيّ لمكان في دمشق او في جوارها

ثانياً يوجد الى اليوم اقوامٌ تتكلّم في اللغة السريانية في سورية وذلك على ابواب

دمشق نفسها وهم اهل معلولة وما يجاورها المشهورون. بل انَّ هؤلاء سريانيتهم افصح من سريانية اثور والجزيرة والعراق. واماً اللغة اليونانية فلا يوجد اليوم زاوية في كلّ بلاد سوريَّة يتكلَّم اهلها بها مع ان اللغة الكردية والتركية يوجد اقوام تتكلَّم بهما في البلاد الشاميّة. ونعدل عن ايراد الشواهد المختلفة من كتب السريان التي يتَّضح منها ان اللغة السريانية كانت اللغة العامَّة الدارجة في جبال لبنان وغيرها من بلاد الشام حتى في القرن الثالث عشر

وبهذه البراهين القاطعة وغيرها تسقط كلّ حجج الخصم. لأنَّهُ من اعتراضاتهم يتحصَّل اكثر ما يكون انَّ اللغة اليونانية كانت في تلك الاعصار التي كلامنا عنها معروفة مشرَّفة في سوريَّة عند العظماء والعلماء مثلما كانت مشرَّفة ومعظَّمة في مدينة رومية وسائر بلاد ايطالية. ولكن لا ينتج من ذلك انَّ اللغة اليونانية كانت اللغة الدارجة المتغلّبة في سوريَّة مثلما لم تكن في ايطالية. والمفهوم ان كلامنا ليس هو عن المدن الكبيرة التي اهلها كانوا في الاصل يونانيين كانطاكية وسلوقية. فانَّنا لا ننكر انَّ اهالي هذه المدن كانوا غالباً يتكلَّمون باليونانية مثلما كان في ايطالية مدنٌ شتَّى يتكلَّم اهلها باليونانية. اماً كتب الاعصار الاولى التابعة لظهور دين المسيح التي وصلت الينا فلا يُنكر انَّ التي تخصّ بلاد الشام منها هي باللغة اليونانية. واماً في القرون التابعة للقرن الثالث فالكتب السريانية في بلاد الشام هي كثيرة كمصنَّفات فيلكسينس المنبجيّ. واسحق الانطاكي وغيرهما. ومن ذلك نتَّخذ دليلاً قاطعاً على انّ اللغة السريانية كانت شائعة عامّة في بلاد الشام قبل القرن الثالث. لان العقل السليم لا يقبل ان اللغة السريانية دخلت في سوريَّة في القرن الثالث مكان اللغة اليونانية. واماً (اسفار العهد الجديد) فبعضها فُقد اصلهُ السرياني كما فُقد كتبٌ كثيرة من كُتُب القُدماء. وبعضها انَّما كُتب في اليونانية في الاصل لانّ الكتَّاب او المكتوب لهم كانوا يونانيين اصلاً. واماً (الجامع البيعية) فليس بمؤكَّد انها كلّها عُقدت باليونانية. واماً (الكتابات الحجريَّة) فان كان كثيرٌ منها مكتوباً باليونانية فاكثر من ذلك مكتوبٌ بالسريانية. وها انّ كثيرًا من الكتابات الحجريَّة القديمة في البلاد الشاميَّة هي باللغة اللاتينية. وهل يستنتج عاقل من ذلك ان اللغة الدارجة في هذه البلاد كانت اللاتينية

---

٥) لقد ثبت الآن انَّ كتب العهد الجديد كلَّها كُتبت باليونانيَّة ما خلا انجيل متَّى الرسول الذي كُتب بالسريانية الفلسطينيَّة (المشرق)

ونختم بحثنا هذا باعتبار واحد جليل القدر يُغني عن كل حجة. وهو انّ المصنّفين والكتّاب في اللغة السريانية في سوريّة من القرن السادس فصاعدًا هم كثيرو العدد حتى انّهُ يعسر احصاؤهم. وهاك اسماء طرف يسير منهم. بولا اسقف قَلِينِقس (الرقّة). وشمعون القرقي. ويوحنّا ابن افتون القنسريني. وزكريا الملطي. ويوحنّا اسقف افسس. وتوما المرقلي. وتاوفيل الرهاوي. ويوحنّا اسقف بُصرى في حوران وغيرهم كثيرون. هؤلاء من الذين اشتهروا الى حين ظهور الاسلام فقط. وأمّا الذين أَلّفوا في اليونانية في تلك الاعصار ببلاد سوريّة فاذا عدلنا عن الذين اشتهروا في اورشليم التي كانت اضحت مدينة يونانية منذ مبادئ القرن الثاني بعد المسيح وفي دير جبل سيناء الذي كان ديرًا يونانيًا في كلّ زمان. كسفرونيوس ويوحنّا السلّمي ويوحنّا الدمشقي وتاودورس ابي قرّة وأَنسطاسيوس السيناوي ويوحنّا مُنخوس فلا نعلم انّهُ عُرف غير هؤلاء من المصنّفين باليونانية في بلاد سوريّة الى يومنا هذا. وان كنّا قد نسينا واحدًا او اثنين فالعفو من القارئ الكريم. ولذلك فلا غرو انّك تجد في بلاد سوريّة احمالًا كثيرة من الكتب السريانية في البيع والاديرة وخزائن البيوت. ولا تجد فيها من الكتب اليونانيّة الّا نَحْلَة القسّ

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

فصل في ذكر اولاد زين الدين وهم من الطبقة الاولى

ويجب ان نذكر اولاد زين الدين من بعد ذكر ابيهم (١)

ذكر الامير شرف الدين علي ابن زين الدين صالح بن علي بن بحتر

هو سمي جدّه. كان مشهورًا بالجودة وصدق الكلام محمودًا في امورهِ مشكورًا

---

(١) ورد في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «حاشية من الاصل: لما اسّس زين الدين المارة في راس عرامون جعلها ابا حيّة (فظنّ انهُ يريد حجر الصوّان المجبّب) وبدنات على هيئة القلاع. وذكروا